جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

قراءة لبعض النظريات الترجمية من وجهة فعل التلقي دراسة وتحليل

الدكتورة
بصــــافي رشــــيدة
جامعة وهران ١ أحمد بن بلة السانية – الجزائر

العدد العشرون
للعام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م
الجزء الثالث
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٦م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

معهد الترجمة
rachida.bessafi@yahoo.com
00213771567189

لا شك أنّ الحديث عن حقل الترجمة من الوجهة التنظيرية، هو حديث عن التقاطع المعرفي الحاصل بين حقل اللسانيات بوصفه حقلا معرفيا متكاملا، والترجمة بوصفها ممارسة تقنية تقوم على مهارات فنية . تلك المهارات التي أرادت أن تأخذ لنفسها الشرعية العلمية والمعرفية بغية تأمين عملية الفعل الترجماتي . ويزداد الأمر حرصا على الموضوعية والأمانة في مجال ترجمة النصوص المقدّسة . وهكذا استثمرت الترجمة الأسس والمفاهيم العلمية من حقل اللسانيات فأفرزت ما أصبح ينعت في الدراسات الترجمية بـ : نظرية الترجمة أو علم الترجمة النظري (Traductologie).

وإذا كانت الترجمة قد أتاحت لنفسها الظهور في ساحة البحث اللساني بصفة نظرية؛ فإنّ اعتمادها على القضايا والأبحاث اللسانية ظل ملحوظا في السنوات الأخيرة من هذا القرن، وعلى رأسها قضية ازدواجية اللغة (Bilinguisme) وعلى أصول الكلمات (Etymologie). يذكر مونان خمسة نظريات وهي ولبارمارشال إيران (W.M.Urbain) ، ونظرية إيجان نيدا(E.Nida)،ونظرية فيناي ودار بيلي (Vinay et Darbelnet)، ونظرية فيدوروف (Fedorov)، ونظرية جون كاتفورد (J.C.Catford) ، وعلى غرار هذا أجرى إيجان نيدا تقسيما لنظريات الترجمة على حسب ما هو موجود في النظرية اللغوية والنظرية الاجتماعية اللغوية، ولكن يمكننا أن نحدد على خلاف ذلك أربعة نظريات ضمن التقسيم الذي يقوم به تشاو لارتباط هذا التصنيف

بالموضوع المراد معالجته من حيث إنّ تصنيف تشاو[١] يرتبط بموضوع تعليميـــة الترجمة، وهذه النظريات هي : النظرية القواعدية، والنظرية الثقافية، والنظريـــة التفسيرية ، ونظرية أنواع النصوص .

نظرية الترجمة القواعدية والضابط التواصلي :

يعتقد روّادها بأنّ " الترجمة عملية لغوية وحسب، وضمن هذا الإطار ينظـــر إلى اللغة على أنّها قواعد وإلى الترجمة على أنّها ليست أكثر من استبدال القواعد والمفردات في لغة بقواعد ومفردات في لغة أخرى" [٢] وعلى هذا الأساس تهـــتم هذه النظرية بالجانب الشكلي للغة أكثر من المعنى ما دامت مهمتها تحويل الرموز اللغوية ابتداء بالكلمة والجملة، لذلك فإنّها تسمح بالترجمة الحرفية، دون مراعاة المميزات الثقافية بين اللغتين، وعليه كان تعليم الترجمة في هذه النظرية مقتصرا على القواعد المقارنة بوصفها الطريقة الوحيدة المتبنـــاة فـــي مـــنهج تعليميـــة الترجمة، وأنصار هذه النظرية كثيرون أبرزهم بيتر نيومارك الذي يعدّ بحق مـــن مناصري الترجمة الحرفية، وعليه يميّز تشاو بين مبدأين: مبدأ القواعد التقليدية (Traditional Grammar Method)، والمبدأ اللغـــوي الشـــكلي (Formal Linguistic Method) .

إذا كان هذا المبدأ بخصوصياته اللسانية والنسقية يجـــنح إلـــى مـــنهج الدراسات اللغوية واللسانيات خصوصا أكثر من جنوحـــه إلـــى مـــنهج تعليميـــة الترجمة نظرا لما يوليه من أهمية قصوى لمقارنة الأنظمة اللسانية فيما بينهـــا؛

١- ينظر محمد شاهين: نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة مـــن العربيـــة إلـــى الإنجليزية والعكس. مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع. عمان الأردن. ١٩٩٨م. ص:٢١.
٢- المرجع نفسه. ص:٢٢.

فإنّ هذا لم يمنع الاختصاصيين في حقل تعليمية الترجمة من الاعتماد عليه في كثير من السياقات. أما ما تعلق بالمبدأ اللغوي الشكلي؛ فقد تطوّر مع التطور الذي حدث للغويات البنيوية[١]، مما يضفي على هذا المبدأ طابع الوصفية العلمية على خلاف تقريرية المبدأ القواعدي، وما من شك في أنّه يستقي مشروعيته العلمية من حقل اللسانيات البنيوية التي أرسى دعائمها دي سوسير؛ حيث يسعى إلى وصف الأجزاء اللغوية ومستويات اللسان البشري اعتمادا على التحليل البنيوي لكل من علم الأصوات(Phonétique)، وعلم الصرف (Morphologie)، وعلم التركيب (Syntaxe) .

يركز هذا المبدأ على مفهوم اعتباطية العلامة اللسانية أي تعذر وجود علاقات سببية تطابقية بين الوحدات القواعدية للغة وبين معانيها، وذلك طبقا للبعد الاصطلاحي للغة(Convention) والذي تسلم به هذه النظرية. ويذهب أنصار هذا المبدأ في ضوء مفهوم اعتباطية العلامة اللسانية إلى حدّ التأكيد بأنّه لا يوجد هناك تكافؤ دقيق بين اللغات[٢] نظرا لاختلاف الثقافات والذهنيات الاجتماعية التي أفرزتها، ويمثل هذا الاتجاه بخاصّة كاتفورد الذي يعّرف الترجمة بأنّها : "استبدال قواعد ومفردات اللغة المصدر بما يكافئها من قواعد ومفردات اللغة الهدف مع استبدال أصوات وكلمات اللغة المصدر"[٣].

١- ينظر نفسه. ص:٢٤.
٢- ينظر نفسه. ص:٢٥.
٣- نفسه. ص:٢٥.

النظرية الثقافية والضابط التواصلي:

ترى هذه النظرية أنّ "اللغة هي الثقافة، وأنّ الترجمة هي وصف وشرح رؤية العالم عند شعب ما لشعب آخر" [١] . ولا شك أنّ هذه النظرية تستمد أصولها المرجعية من فرضية إدوارد سابير وبنجامين وورف(Sapir et Whorf) التي تقول بنسبية اللغات، انطلاقا من أنّ خصوصية كل لغة ترتبط برؤية مختلفة عن العالم وطريقة خاصّة في تحليل التجربة ووفقا لذلك ".... فإنّ الترجمة عملية بين الثقافات تسبب مشاكل عويصة كثيرة للمترجم ينتج معظمها عن مشاكل الفوارق الثقافية الكثيرة بين اللغتين المعنيتين، وهي تنجم عن الخلافات في الجوانب البيئية والاجتماعية والسياسية والإيديولوجية والدينية لحياة الثقافتين"[٢].

من هذا المنطلق؛ فإنّ الترجمة تتعدى هنا حدود السياق اللغوي إلى السياقات الثقافية والحضارية رغم ما في هذا الطرح من مخاطر على الترجمة من حيث إنّ المرء لا يستطيع ضمن حدوده التعليمية الإلمام بكل المعطيات الثقافية للمجتمعات، وقد نلاحظ صعوبات ذلك في الأمثلة التي سنتعامل معها قريبا في ضوء الفعل التلقي عن طريق ما سمّي بالتكافؤات الترجمية من منظور تصور عربي.

وتجدر الملاحظة إلى أنّ النظرية الثقافية تميّز بين مبدأين أساسين في عملية النقل هما: المبدأ الثقافي الدلالي(Ethnographical Semantic Method)؛ حيث تفطن أصحاب هذا المبدأ إلى "المصاعب التي تواجهها الترجمة

١- نفسه. ص:٢٥.
٢- نفسه. نفسه. ص:٢٦.

بين الثقافات فأوجدوا العديد من الطرق مثل التحليل التكويني حول الملامح الـذي ينتهج طريقة لتقييم الكلمات الفردية؛ حيث يساعد المترجم بتزويده حدسا حول الملامح المميزة التي تستند إليها الخلافات بين كلمات متكافئة ظاهريا في لغتين"[١] . أما ما يتعلق بتعليم الترجمة انطلاقا من النظرية الثقافية فيركز أنصار هذا الاتجاه على مدى إدراك درجة الحساسية تجاه العناصر الثقافية المميزة من لغة إلى لغة، وتلك التي تكون محددة في قوائم مفرداتية وأنظمة مصطلحية يتعيّن على معلمي الترجمة إحصاؤها في تمارين دلالية معروفة.

ولعل خير دليل أو مثال على ذلك المفردات التي تدل على الألوان والتي قد تختلف من لغة إلى أخرى فضلا على أنّ هناك بعض اللغات لا تملك مفردات للتعبير عن ألوان موجودة في لغات أخرى "فعلى سبيل المثال قولنا-إيفي'Ewe) لغة إفريقية لا يوجد فيها كلمة محدّدة اللون الأصفر لذلك يميل المتحدثون بتلك اللغة إلى اختراع مركب مثل- ورقة ناضجة - للدلالة على هذا اللون"[٢].

مبدأ التكافؤ الديناميكي (Dynamic equivalance method) :

وهو أقرب ما يكون إلى مفهوم الترجمة الحرة، وقد كان أول من أشار إلى هذا المفهوم هو(Caur) سنة ١٩٧٢ بمصطلح مبدأ الاستجابة المكافئة، في حين سمّاه نيد(Nida) بمبدأ التكافؤ الديناميكي. ويذهب أنصار هذا المبدأ إلى أنّ هناك عدة روابط مشتركة بين اللغات على الرغم من تباين الثقافات والحضارات، ومن ثمة فالقول بالتكافؤ الديناميكي معناه تكافؤ التأثير والاستجابة لدى دارسي الترجمات بين اللغتين المصدر والهدف، انطلاقا من الوظيفة التواصلية للترجمة

١- نفسه. ص:٢٧.
٢- نفسه. ص:٢٨.

"ووفقا لهذا المبدأ فإنّ الناتج النهائي ليس رسالة أخرى بل أقرب مكافئ طبيعـــي؛ فبدلا من التركيز على الخلافات الثقافية وعلى علم الثقافة المقارن يركز هذا المبدأ على استجابة القرّاء. وينبغي على النص الهدف أن ينحصر في قارئ اللغة الهدف استجابة مكافئة لما فعل نص اللغة المصدر بقارئه " [١] .

وتماشيا مع ما يقتضيه الضابط التواصلي في علاقته بالجانب الثقافي الكائن بين اللغتين،لا ضير من أن نسرد بعضا من المحطات التي نعتقد أنّها تجسّـــد لنـــا مدى عمق التجاور والتحاور القائم بين النظرية الثقافية والنظرية التواصلية فيما يخص النصوص التي يتعامل معها المترجم.

اللغة مظهر الحضارات والثقافات :

حينما يعبّر المفكّر العالم أو الفيلسوف عن رأيه؛ فإنّما يعبّر عن رأيه ذلـــك بحسب قواعد ثابتة أو منطق متّسق ، أما الأديب، والشاعر مـــن الأدبـــاء، علـــى الأخصّ ؛ فإنّه يُعير جمال التعبير اهتماما أكبر من اهتمامـــه بدقـــة التعبيـــر . إنّ الشاعر خاصّة يحبّ الصورة الجميلة أكثر من حبّه للحقيقة الثابتة. ثم هو يحبّ – بخلاف ما يحبّ العالم – أن يكون تعبيره عن الحقيقة الواحدة أو الشعور الواحـــد أو المنظر الواحد أو الرغبة الواحدة في صور مختلفة. إنّ الأدب حلية من الحُلى : إنّه زينة للحياة الإنسانية [٢].

إنّ العقول والألسن تتلاقى في ميادين الحضارة والثقافـــة فـــإذا لـــم يكـــن الإنكليزي والفرنسي قد أخذا من العربية والعربي؛ فإنّ للعربيين فضلَ السبق فـــي

١- نفسه. ص:٢٨-٢٩.

٢- عمر فرّوخ: الحضارة الإنسانية وقســـط العربـــي فيهـــا. دار لبنـــان للطباعـــة والنشـــر. بيروت.ط٢، ١٩٨٣م، ص:٢٥

ذلك، ولا أُحيل أن يكون الجاحظ وزرقاء اليمامة قد عرفا ما قالاه من الفرس أو من الروم مثلا، ولكنّهما يكونان قد استدانا شيئا من رجل قديم ثم وفيا أحفاده ذلك الرجل القديم ما كان قد استداناه من قبلُ. فأين تلتقي ثقافيا -يا ترى-زرقاء اليمامة والأدب الغربي؟، وأين يلتقي في الوقت نفسه بخل موليير والأدب العربي؟ وما موقع العالم الألماني غوته ثقافيا من الدين الإسلامي؟ وهل نستطيع أن نجد قاسما مشتركا ينم عن البعد الثقافي بين شعرائنا وشعرائهم؟ [١] .

زرقاء اليمامة وشكسبير :

إنّ أدنى تأمل في مسرحية- مكبث- لشكسبير يهدي بالمتمعن إلى أنّها تعكس عقدة بارعة في قول السّاحر لـ: مكبث ، إنّه لن ينهزم بحال من الأحوال حتى تسير غابة بيرنام نحو دونسياين . حينها يطمئن مكبث إلى هذا القول. وفي أحد الأيام يدخل حارس على مكبث ويخبره بأنّه قد شاهد غابة بيرنام تتحرّك مسرعة في اتجاه دونسياين . وتحلّ العقدة بأنّ جنود خصومه أرادوا خديعته فحملوا على إثرها أغصان أشجار وساروا بها [٢] .

هذه الخدعة التي نجدها مجسّدة في الأدب الغربي على لسان الأديب الشهير شكسبير، إذا ما نظر إليها المترجم من زاوية ثقافية بما تعكسه من عادات وتقاليد وجد ما يقابلها في الحس والشعور تلك الخدع الكائنة في الروايات الجاهلية عن زرقاء اليمامة؛ ومفاد هذه القصة[٣] أنّه كانت امرأة صحيحة البصر تبصر – فيما زعموا القوم- من مسيرة ثلاثة أيام . ولقد أنذرت قومها ذات يوم بأنّ غابة تسير في اتجاههم فلم يصدّقوها، وبعد ثلاثة أيام فاجأهم أعداؤهم بجيش كثيف وانتصروا

١- ينظر المرجع نفسه.
٢- ينظر نفسه، ص:٢٧.
٣- ينظر المرجع نفسه. ص:٢٧.

عليهم؛ فأصبحت تطلق هذه الخدعة التي لم يتوقع أهلها على معنى أو حادثة زرقاء اليمامة . وهي تتناسب طرديا مع حادثة شكسبير بحكم أنّ القاسم المشـــترك يجمـــع القصتين ثقافيا واجتماعيا؛ إذ هناك نواميس مبثوثة في الوجود الإنساني لا يستطيع الإنسان مهما كان نوعه أو جنسه أن ينسلخ عنها جملة وتفصيلا .

بخيل موليير وبخيل الجاحظ :

وللروائي الفرنسي الشهير موليير عقدة يعرفها أهل الاختصاص وذلك فـــي مسرحيته الموسومة بـــ : البخيل، ومفاد هذه القصة كون أنّ ابن هارباغون كان يحصي تركة أبيه فوصل إلى غرفة الطعام فوجد فيها قطعة جبن مقروضـــة مـــن أطرافها؛ فوقف حينها مستغربا، فقيل له: ماذا تستغرب من ذلك؟ قال: كان أبـــي مسرفا يقرض الجُبنة قرضا. فسئل: وما كان عليه أن يفعل؟ فأجاب : كان يجب أن يمسح على قطعة الجبن بقطعة من الخبز[١] .

إنّ المترجم عند تلقيه لهذه العقدة القائمة على خلفيتها الثقافيـــة الغربيـــة، يدرك لا محالة بأنّ لها ما يبررها ثقافيا في التراث العربي، وذلك في كتاب البخلاء للجاحظ الذي عاش قبل موليير بثمانية قرون وبضعة قرن. فهو يبين هذا البعـــد الذي يعكس من زاويته المعرفية خلفية ثقافية تقترب من الواقع الغربي فيقول فيما معناه إنّه كان ابن البخيل يحصي ما تركه له أبوه فوقف عند قطعة مـــن الجـــبن يتأمّل في خطّ عميق فيها. فقيل له: ما وجه الاستغراب؟ قال: كان أبـــي مســـرفا يمسح الجبن بخبزته، فقيل له: وما كان عليه أن يفعل؟ فقال لهم: كان يجـــب أن يقف بعيدا ثم يشير بلُقمة الخبز إلى قطعة الجبن[٢] . الأمر الذي يؤهّل المترجم أن

١- ينظر المرجع نفسه. ص:٢٧.
٢- ينظر المرجع نفسه. ص:٢٧.

يحقق تواصلا بين الثقافتين- النصين- بحكم أنّ الحادثة واحدة على الرغم من اختلاف المنبعين أحدهما غربي والآخر عربي .

إذاَ، ما يمكن قوله لا يوجّه أساسا في كون أنّ شكسبير قرأ الشعر الجاهلي أو موليير قرأ عصر الجاحظ وغيرها من الأحكام، ولكن القول المنطقي المنهجي هو إنّ العقول والألسن تتلاقى وإنّ الحضارات تتجاور وتتحاور، ولكنّ الفضل للمتقدم على كل حال. والمتقدّم هو الذي يعطي المتأخر، ونحن أعطينا-على حد تعبير عمر فرّوخ - ولا فضل لنا في العطاء لأننا كنّا قد أخذنا أيضاً . غير أنّ الرغبة في العطاء أعظم قيمة من العطاء نفسه، وعليه استوجب من المترجم أن يبذل جهده عن طريق فعل التلقي تبيان هذا العطاء المعرفي الثقافي وهو يتقاطع بين عالم النصوص. إذا كانت النظرية الثقافية تركز بصفة عامة على نقل النظام الثقافي من منظومة لسانية إلى أخرى؛ فإنّها تأخذ أكثر دقة مع هذا المبدأ من حيث تركيزها على السياق الثقافي وما يتعلق به من خصوصيات اجتماعية وفكرية وهلمّ جرّا.

أبعد من ذلك أنّنا نجد الضابط التواصلي في علاقته بالخلفية الثقافية القائمة بين النصين اللذين يقتحمهما المترجم على نية تجسيد عملية نقلية يحاول فيها بكل ما أوتي الحفاظ على خصوصية النص الثقافية، يأخذ بعده التواصلي من بابه الواسع عندما يتعامل المترجم مع نصوص الأمثال التي لربّما وجد فيها لا من حيث الشكل ولا المضمون ما يميّزها في عملية النقل عن طريق إشكالية إيجاد المكافئ الترجمي لا من حيث الصيغة ولا ما تحويه الصيغة من أبعاد معنوية؛ الأمر الذي جعل من ترجمة الأمثال تصعب على كثير ممن يمارسون الفعل الترجمي بحكم أنّ نص المثل له عالمه الخاص الذي ينتمي إليه.

النظرية التفسيرية والضابط التواصلي :

مع انتقال الدراسات اللغوية من مجال اهتمامها باللغة والنظام اللساني إلـــى ظاهرة الكلام والإنتاج الكلامي؛ شاع نموذج الـــنص فـــي الدراســـات المعاصـــرة وبخاصّة مع منتصف السبعينات ؛ حيث ظهرت عدة نظريات من مثـــل: نظريـــة النص، ولسانيات النص، والسيميائيات وغيرها، وكانت من الاتجاهات التي تناولت بالدرس النص كوحدة أساسية بالتحليل مع مقارنة المعنى فيه بالســـياق اللغـــوي والاجتماعي، ثم ضرورة الأخذ بعين الاعتبار إنتاج النص التي يشغل فيه القـــارئ نصيا وافرا؛ حيث تعدّ "الترجمة في الأساس عملية نص لنص، وليست بين لغتين أو بين ثقافتين ....، ومهمة المترجم ليس مطابقة رموز النص الأصلي مع رموز النص الهدف ، ولكن لتفسير النص الأصلي أي إعادة تركيب معناه أولا ثم نقلـــه إلى قارئ اللغة الهدف" [١] .

أضف إلى ذلك أنّ عملية تلقي النص عن طريق فعل التفسير تجعل المترجم يركز أساسا على مقارنة المعنى بالسياق اللغوي والاجتماعي، لتخلص في آخـــر المطاف إلى تحديد وتصنيف النصوص ضمن أنواع مختلفة ومتباينة. وتستند هذه النظرية على مبدأين أساسين هما: مبدأ تحليل النصوص(The Text Analysis Method)، والمبدأ التأويلي (The Hermeneutic Method).

مبدأ تحليل النصوص (The Text Analysis Method) :

يستند هذا المبدأ إلى نظريات لغويات النصوص كما يستفيد من حقوق أخرى مجاورة مثل الذرائعية وعلم اللغة الاجتماعي في دراسة المعنى والسياق النصـــي

١- نفسه. ص : ٣٠ .

على لسانيات النص والذرائعية أو البراغماتية أو التداولية (Pragmatisme)[١] وعلم اللغة الاجتماعي والنقد الأدبي والأسلوبية وعلم البلاغة ونظرية الاتصال، وهو لا يُسلم بمعنى الوحدات اللغوية كالكلمة والجملة على انفراد، بل يترجمها بحسب دلالاتها في السياق العام للنص.

وبهذا يكون السياق هو الضابط الأصلي لتحديد هوية النص؛ فالتمييز بين النصوص وتصنيفها يفضي إلى تسهيل عملية الترجمة وتنظيم مبادئها وإجراءاتها وفق أنواع النصوص المراد ترجمتها، وبالتالي إمكانية قابليتها أو غير قابليتها للترجمة؛ فعلى "المرء أن يعامل النص ككل على أنّه وحدة للترجمة؛ فإنّ المرء لا يستطيع أن يترجم كلمات أو جملا متفرقة إلا إذا كانت جزءا من خطاب كامل، والذي بدوره ينحصر في سياق حال أكثر عموما، وعن طريق درس السياق اللغوي يمكن إعادة خلق السياق والحصول على قراءة شاملة للنص" [٢] .

من هذا المنطلق اكتسب حقل تعليمية الترجمة سهولة بيداغوجية إزاء هذا التنظيم العملي، مما قد يفضي إلى إمكانية انتقاء نوعية النصوص ومدى ملاءمتها لتعليم الترجمة. ولا شك أنّ هذا المبدأ الذي تستند عليه النظرية التفسيرية يكون أكثر تطورا وإفادة في حقل تعليمية الترجمة على غرار النظريتين القواعدية

١- على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين المشتغلين في حقل التداولية(Pragmatique) وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها؛ فإنّ غالبيتهم يقرون بأنّ التداولية هي إيجاد تلك القوانين الكلية للاستعمال اللغوي قصد التعرف على تلك القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، ومن ثم يصير مسار التداولية من حيث الإطلاق أن يدعى بعلم الاستعمال اللغوي؛ الأمر الذي جعل من واقعها يتنوع مصدرها حسب المفاهيم الكبرى التي تنطوي تحتها فهناك الأفعال الكلامية الذي هو منبثق من مناخ فلسفي عام هو الفلسفة التحليلية، وكذلك مفهوم نظرية المحادثة الذي انبثق من فلسفة بول غرايس(Grice) وأما نظرية الملاءمة فقد ولدت من رحم علم النفس المعرفي وهكذا دواليك بالنسبة لكثير من الابعاد المفاهيمية التداولية... عد في هذا المقام إلى: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب.ط١، دار الطليعة بيروت. لبنان. ٢٠٠٥م.ص:١٥ وما بعدها.

٢- نفسه. ص:٣٢.

والثقافية"... ومن أجل تعليم الترجمة لا بد من التدريب على اكتســاب حساســية اتجاه استعمال اللغة، وملاحقة الأدلة الخلفية والكتابة بأساليب مختلفــة وأنــواع نصوص مختلفة"[١] .

المبدأ التأويلي (The Hermeneutic Method):

وهو على خلاف المبدأ السابق، وحتى المبادئ السابقة؛ لأنّه " لا يستند على الاتجاهات الجيدة في علم اللغة أو أي حقول ذات علاقة به، بل يــرتبط بمدرســة فلسفية ألمانية ألا وهي–التأويلية الوجودية–وهي المدرسة نفسها التي تضم كــل من هايدجر(Heidegger)، وهنس جورج جدامار (Gadamer) ؛ حيث يــذهب أصحاب هذا المبدأ إلى ضرورة تتبع المعنى لا داخل النص فقط وإنّما خارج إطار النص على اعتبار أنّ النص هو خطاب يحوي منطوقات (Enonces)،وعليه فإنّ "إرجاع النص إلى مجرد كومة رموز لا عمق دلالي وراءها، هــو مــنهج مــادي ساذج يريد أن يناقض المنهج التجريدي الساذج، كذلك الذي يجرد عالم الــدلالات بمعزل عن النص وسياقه الحيوي...وكلا المنهجين تتجاوزهما نظرية التأويل"[٢].

لكن ما يستدعي التريث في هذا المبدأ التأويلي بالذات، هو كيف يلتقي هــذا المبدأ مع الضابط التواصلي. أو بعبارة أخرى هل بمقدور المترجم أن يجسّد هــذا المبدأ بعيدا عن الخلفية المعرفية التي تأسس في ضوئها حتــى أصــبح نظريــة مستقلة في حدّ ذاتها وهي ما تنعت اليوم بــ : نظريــة التأويــل(Théorie de l'interprétation). إذاً لا ضير من أن نفرد وقفة وجيزة حول هذا المبدأ مــن

١- نفسه. ص:٣٢-٣٣.

٢- مطاع صفدي: إستراتيجية التسمية. ط١، دار الإنماء العربــي بيــروت، لبنــان، ١٩٨٦م، ص:٢٢٣.

حيث التأسيس والتأصيل لننظر في نهاية المطاف أنّ هذا المبدأ يتنازعه إجراءين اثنين يصبان في عمق البحث الترجمي وهما: الفهم (Comprendre) ، والتفسير (Exégèse)؛ الشيء الذي يجعلنا في ما بعد ننظر من الذي تكون له الأسبقية في تحقيق عملية تواصلية بين النصوص هل الفهم أو التفسير أو التأويل؟...

الجدير بالذكر أننا نبتغي صيغة فن التأويل لترجمة كلمة (Herméneutique) تمييزا لها عن "التأويل" بمعنى (Interpretation)؛ إذ الملاحظ أنّ البعض يفضل تعريبها بـ : علم التأويل[١]، ويفضل البعض الآخر تعريبها بـ"التأويلية" أو أيضا بـ "الهيرمنيوطيقا" [٢]، بحكم أنّها أقرب إلى روح الكلمة نفسها؛ فهناك دوما كلمات هي في عداد المتعذّر ترجمته.

تتضمن كلمة(Herméneutiké) بالإغريقية في اشتقاقها اللغوي على كلمة (Tekhné) التي تحيل في الأصل إلى معنى الفن، بمعنى الاستعمال التقني لآليات ووسائل لغوية ومنطقية وتصويرية واستعارية ورمزية [٣]. وبما أنّ الفن كآلية لا ينفك عن الغائية(Téléologie)؛ فإنّ الهدف الذي لأجله تحبّذ هذه الوسائل والتقنيات هو الكشف عن حقيقة شيء ما، وتنطبق جملة هذه الوسائل على النصوص قصد تحليلها وتفسيرها مع إبراز القيم والحقائق التي تختزنها والمعايير والغايات التي تحيل إليها. وعليه فإنّ مفهوم "الهيرمنيوطيقا" لا يخرج عن تأويل وتفسير وترجمة النصوص .

١- ينظر كتاب فيليب هونمان- مدخل إلى الفينومينولوجيا - منشورات آرماند كولين، باريس، ١٩٩٧،/ ص:١٥٣.

٢- ينظر منصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفي' نموذج محي الدين بن عربي. منشورات عكاظ، الرباط، ط١، ١٩٨٨.

٣- ينظر هانس غيورغ غادامير: فن التأويل. ترجمة محمد شوقي الزين. مجلة كتابات معاصرة، العدد ٣٧، ١٩٩٩. ص:٧٣.

والتأويل عبارة عن فن على حد تعبير شلاير ماخر(Schleir Macher)[١] يتم عن طريق الاشتغال على النصوص قصد تبيان بنيتها الداخلية وكذا الوضـــعية ووظيفتها المعيارية والمعرفية والبحث عن حقائق مضمرة في واقع النصـــوص، وربّما المطموسة لاعتبارات تاريخية وإيديولوجية، ما يجعل من فن التأويل يلتمس البدايات الأولى والمصادر الأصلية لكل تأسيس معرفي أو برهاني أو جدلي، ممـــا يؤهّل من "الفهم عندما يعمل لا يغلو فقط أي لا يقول رموزا، وإنّما هو يؤوّل. أي أنّه يبحث عما هو أول في الشيء، هما الأس والأصل"[٢]؛ فهو يحفر في طبقـــات النصوص المترسبة والمتراصّة أي في ذاكرة التراث الإنساني قصد الكشف عـــن حقائق دفينة وغابرة، وفتح أقفال الكنوز المطمورة في عـــالم النصـــوص علـــى اختلاف أشكالها وأنواعها.

ثم إنّ نظرة عجلى في لسان العرب لابن منظور تمنحنا الدلالـــة نفســـها أي إطلاق التأويل على معنى المرجع والمصير المأخوذ في الغالب من آل يؤول إلـــى كذا أي صار إليه[٣] . وعليه تجب في اشتقاقات كلمة تأويـــل الآل بمعنـــى عمـــد الشيء الذي يستند عليه، والآل بمعنى السراب، والقيمة الدلاليـــة والأنطولوجيـــة التي نمنحها إلى الآل أي السراب؛ على أساس أنّ الأصل الذي تؤول إليه الأشياء والذي يبحث عنه التأويل عبارة عن لحظة تأسيسية متعددة الأوجه، أو هو حقـــل تجوبه جملة العلاقات الاختلافية والاستعارية دون إرجاع الأشياء إلى قيم متعالية أو أصل مطلق، بحيث يصبح المعنى المكتشف مجرّد دلالات نسبية صـــارمة فـــي فحص النصوص وقراءة التراث .

---

1 - Cf Schleir Macher : Herméneutique, Laor et Fides, 1987, p :104.

٢- مطاع صفدي: إستراتيجية التســمية. مركــز الإنمــاء القــومي، بيــروت، ط١، ١٩٨٦، ص٢٢٤- ص ٢٢٥.

٣- ينظر ابن منظور: لسان العرب. مصدر أول، دار صادر، بيروت ، د.ت. ص:٣٢.

ومما يستدعي التريث في شأن علاقة التأويل بواقع النصوص أنّ مواجهة سلطة القراءة الأحادية للنص سمحت لـ : فلهالم دلتاي(W. Dellthey) بتأسيس مبدأ حديث في فن التأويل قائما فيما معناه أنّه ينبغي أن نفهم النصوص-على حدّ قوله- انطلاقا من النصوص نفسها وليس اعتبارا من المذهب الذي تنتمي إليه، بحيث لا يوجّه المذهب النص، وإنّما يستقل هذا الأخير بحقيقته عن كل توجّه يسجنه ضمن إطار خاص[١]، وعليه فإنّ الفهم لا يستند في هذا المقام على الجانب التفسيري اللاهوتي في معالجة النصوص، بل يعتمد أساسا على التطبيق المنهجي لقواعد التأويل من لغة ونحو ومنطق وترجمة، وهو ما يمكن تسميته بالتأويل المجسّد أو المطبّق (Interprétation appliquée).

إذاَ ؛ يدعو التأويل المطبّق إلى تشكيل وعي تأويلي قوامه ذلك الحس التاريخي والنقدي الذي يتحلى به المترجم وهو يتناول موضوعات وخصائص النصوص، وذلك قصد أصولها واكتناه تراكيبها، وهو ما يسميه غادامير بالوظيفة الفعلية للتاريخ (Wirkungsgeschichte)[٢] . بمعنى تطبيق الدلالات التي تكشف عنها حقائق التاريخ والتراث على اللحظة الراهنة، وهو ما أشار إليه الناقد ياشار ساغائي قائلا : " يتخذ الفهم دوما دلالة التطبيق لأنّ التأويل الذي تمارسه في حق التراث يرتبط دوما بالسؤال الذي تطرحه أي مشكلاتنا الخاصّة وإمكانية أن يقوم النص المقروء إجابة لهذه المشكلات" [٣].

1- Cf. Dellthey : le Monde de l'esprit, I , Paris, pp :149-150.

2 - Cf. Jean Grodin : la conscience au travail de l'histoire et le problème de la vérité en herméneutique, Archives de philosophie, n=44, 1981, pp :435-453.

٣- يشار ساغائي : غادامير: الحقيقة حوار وتفاهم، ترجمة محمد شوقي الزين، كتابات معاصرة، بيروت. العدد ٤٥، ٢٠٠٠م، ص:٧٩.

غير أنّه لتجسيد التواصل الترجمي في علاقته بالإجراء التأويلي، تعتــرض المترجم قضية ليست بالأمر الهين والقائمة أساسا على ثنائية الفهــم والتفســير؛ على أساس أنّ المترجم عندما يتعامل مع الإجراء التأويلي (Interprétation)؛ فإنّه يولي اهتمامه إلى الفهم ثم التفسير وهما شيئان يتنازعان بعضهما الــبعض مع التأويل، وعليه من تكون له الصدارة يا ترى ؛هل الفهم والتفسير ثم التأويل،أم التأويل يكون في المرحلة الأخيرة عندما يصل كل من الفهم والتفسير إلى حالــة تؤهّل الإجراء التأويلي لأن تكون له القدرة المعرفية والمنهجية في اقتحام أبعــاد النص، وهو ما يمكّن المترجم حينها من القبض على دلالات النص فتسهل عليــه عملية النقل؟.

يهتم ريكور على اللغة في عملية الاشتقاق عندما يــرى بــأن الفهــم (Comprendre) يقوم أساسا على إدراك شامل وجماعي لشــيء مــا ، وهــو لا يخرج من حيث الإجراء المطبّق على واقع النصوص عــن مبــدأ مــا يســمى في حقل اللســانيات بالسّــاكروني (Synchronique) أكثــر منــه الــدياكروني (Diachronique) ؛ الأمر الذي جعله يعتقد أنّ العلاقة بين التفسير والفهم فــي معناها الأنطولوجي لا تخرج عن المجاوزة، وذلك انطلاقا مــن نســق العلامــات المغلق أي ما له علاقة بالبنيوية أو المتعالية القائمة على مبدأ الحدس المــاهوي المجرد – الفينومينولوجيا– [1] .

ثم يذهب في سياق آخر إلى أنّ التفسير ليس إلا وسيطا يستعمل غالبا في عملية ربطية في فهم العلامات بفهم الذات ، غير أنّه وسيط له من الأهمية بمكان

1- Cf. Paul Ricoeur : Du Texte à l’action. Essais d(herméneutique. Edition du Seuil, 1986, Paris, pp :179-181.

باختزال الفهم إلى مجرد تفسير صحيح ومعالجة دفينة للنصوص أو الرمـــوز أي الفهم بوصفه مسألة سطحية خارجية لا يمكن أن تلامس بـــاطن الأشـــياء...يكون التفسير سابقا على الفهم ولكنّه ثانوي بوصفه تنظيمـــا أو ربّمـــا تنســـيقا بـــين العلامات ؛ الأمر الذي يؤهّل من التفسير أن يكون مجرد سميوطيقا تتأسس علـــى قاعدة الفهم من الدرجة الأولى[١] .

إنّ المترجم باعتباره مفسّرا لا يسعه أن يجعل التفاهم في المحادثة ممكنا، إلا بالمشاركة في الشيء ذاته الذي يعدّ بحق بالنسبة إليه، موضوع البحث تماما مـــا نجده بالنسبة للمفسّر- بكسر الراء- الذي يستوجب في عملية تفسيره أن يواجه النص على نية المشاركة الكلية في ما يحمله من معان[٢] .

إنّه الفعل النصي أو النشاط الفعلي للنص الذي يجعل من التواصل الترجمي يجد متنفّسه الإجرائي لكي يحوّل النص الأصلي-المصدر-إلى نص آخر يكون في الغالب مثيلا للنص الأصلي، وهو ما يؤهّل المترجم أن يدرك هذه الديناميكية فـــي التحام الفعل النصي مع الإجراء التواصلي الترجمي. بعبارة أخرى "إنّ الذي يمكننا من التواصل عن بُعد هو مادة النص التي لا تنتمي إلى مؤلفها ولا إلى قارئها"[٣]

غالبا ما يبحث المترجم في استخدامه التواصل الترجمي التأويلي فـــي ثنايـــا واقع النص عن حركة داخلية تنظم وتنسق الأثر، وعن طاقة هذا الأثر في ســـبق ذاته أو في بعض السياقات الاندفاع بعيدا- خارج- ذاته من أجل خلق إبداع آخر لعالم النص أو شيئته، وهي حركة مزدوجة دينامية داخلية وقصدية متنوعة .

---

١ - cf. Ibid. pp :181-182.

٢- ينظر هانس جورج غادامير: اللغة كوسيط للتجربة التأويلية. ترجمة أمال أبـــي ســـليمان، مجلة العرب والفكر العالمي. العدد الثالث، ١٩٨٨، مركز الإنماء القومي، بيروت،ص:٢٣.

٣- بول ريكور: مهمة الهيرمنيوطيقا. ترجمة خالدة حامد، مجلة المعرفة، دمشق، العدد ٤٥٢، ص:٨٢.

من هذا المنطلق يصبح المترجم له الشرعية المعرفية والمنهجية في أن يجعل من التواصل الترجمي التأويلي يتيح في فهم النص إعادة تفسيره وتنظيم فضائه الدلالي، وهنا ينتقل المترجم بالنص إلى تأويلية بمعنى في جدلية الفهم والتفسير على مستوى المعنى المحايث للنص(١).

لعل هذا الطرح ؛ الذي ظاهره فلسفي غير أنّ باطنه لا يخرج عن واقع النص بكل ما يحمله من زاد معرفي، ينم على أنّ الارتباط بين عمليتي: التواصل الترجمي والتأويل واضح كل الوضوح؛ على أساس أنّ الترجمة في واقع الأمر مسعى تأويلي ليس إلا ، بحكم أنّ الترجمة عملية ذهنية وإدراكية تستوجب ثقافة موسوعية واجتهادا خاصّا ومحادثة فعلية؛ إذ المترجم لا بدّ له، وهذا أمر لا جدال فيه، من أن يفهم النص فهم المستويين : الحرفي والضمني بل حتى المجازي في بعض السياقات، محاولا في الوقت نفسه إدراك أبعاده وخلفياته لاستيعابه وضبطه ثم بعدها تأويله تأويلا يتماشى ومقتضيات السياق.

غير أنّه ما يلفت الانتباه في هذا المقام بالذات ، أنّ التواصل الترجمي/ التأويلي ينبغي أن يراعي في عملية النقل التطابق بين المستويات الثلاثة: قصدية كاتب النص، وقصدية المؤلف، ثم قصدية القارئ الضمني؛ فالمترجم يلتزم بالمعنى الأول للنص المترجم وبلغة الهدف، دون إغفال متلقي الترجمة، وهو بهذا كله يفي بكل ما أوتي بتعهداته إذا أفلح في تأويله ونقل البنيات التحتية للنص والتي تتلخص في الغالب الأعم في التمكن المعقول والمقبول من المنظومة الثقافية (القيم الفلسفية والأخلاقية وجهة النظر المعبّر عنها في طيات النص....) . على

١- ينظر جون لادريير: التأويلية والإبستومولوجيا في بول ريكور؛ تحولات العقل التأويلي. منشورات يسرف. باريس. ١٩٩١م. ص:١١١.

أن يفترض من التأويل لكي يؤتي أكله في عملية التواصل الترجمي تحريك الموسوعة المعرفية لدى كل من القارئ والمترجم، وتشمل هذا الموسوعة السياق اللغوي والسردي والخطابي والنصي والمقامي والاجتماعي والثقافي والتداولي وهلمّ جرّا؛ ذلك أنّ التواصل الترجمي/التأويلي عملية معقدة، يصفه البعض بالخيانة، ويلبسها آخرون ثوب الإبداع؛ فهو من ثمة خيانة وإبداع في آن واحد؛ على أساس أنّه يتحتم على المترجم المالك لهذا الإجراء التواصلي الترجمي أن يخلق في ظلّه عالم خطاب ملائم، أو على الأقل غير متعارض مع وجهة نظر الفاعل السارد ومع النص الأصلي ومنسجما مع وجهة نظر القارئ المستقبل للنص الثاني والتي غالبا ما تكون نقدية [١] .

إنّ التأويل يوازي الفهم، ويسبق عملية الشرح ويمهّد الطريق للترجمة. أما الترجمة فهي بالمقابل مسار تأويلي وسيرورة تحاول بكل ما تملكه من زاد معرفي أن تجمع بنية عالم الخطاب ومكوناته من سارد ومسرود له أو محدّث ومتحدّث إليه، وبين لغة الانطلاق ولغة الوصول، وبين مترجم ومتلق للنص. إنّ التواصل الترجمي/التأويلي بكل أبعاده المعرفية والثقافية حركية تناصية تربط بين عوالم مختلفة، عالم الكاتب والمؤلَّف والمترجم بكسر الجيم، والمتلقي، يشترط فيه الأمانة والملاءمة، الجودة والجمال، المحاكاة والمغايرة، المعارف واللغات، الحوار والتحاور بين الثقافات واللغات والنصوص.

وعليه طوّرت النظرية التأويلية عملية الفهم لعالم النصوص، ما أصبح يعرف ضمن مدرسة كونستنس الألمانية خاصة مع ياوس وإيزر بأفق الانتظار، على غرار أفق التاريخ الذي بني عليه جدامار مفهومه للوعي التاريخي في فهم

١- ينظر في هذا المقام بالذات خاليد سليكي: أنماط من القراءات في التراث. مجلة جذور. العدد الأول. ١٩٩٩م. ص:٨ وما بعدها.

النصوص التاريخية والتراثية؛ ذلك أنّ جدامار يركز"عمله التأويلي في كشف الوعي البشري المدوّن في تجاربه اللغوية...ولكي يحقق للوعي البشري المدون استمراريته، ويحقق كذلك للوعي المدون إنيته... كان يشدد على أهمية إنضاج الممارسة التأويلية في حدود التاريخ والتراث...وهو يتحدث بذلك عما يسميه بالأفق التاريخي"[١] .

وبناء على هذا التصور يحدد تشاو فوائد يمكن للمترجم أن يستفيد منها وهو يتعامل مع واقع النصوص وهي على النحو الآتي:

١. ليس هناك من فهم موضوعي حقيقي
٢. لا يمكن تجنب التحيزات التي قد تكون إيجابية
٣. ليس هناك قراءة نهائية
٤. لا يمكن للمفسّر إلا أن يغيّر معنى النص المصدر.
٥. لا يمكن للترجمة أن تمثل النص بشكل كامل.
٦. لا يمكن شرح الفهم دائما [٢] .

ولعل هذه المبادئ تفتح أمام المترجم أفاق نقد النص من خلال تحيد المعنى المراد بلوغه دونما الالتزام الحرفي بها بل إنّ المترجم بإمكانه بناء النص من خلال ذلك الفهم الذي يعطيه للنص ذاته.

١- ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي. ط١، دار الشروق، عمان الأردن. ١٩٩٨م. ص:١٠٠.
٢- ينظر محمد شاهين. المرجع السابق. ص ص:٣٤-٣٥.

نظرية أنواع النصوص والضابط التواصلي :

لعل من أهم الرواد الغربيين الذين يمثلون بحق نظرية تصنيف النصوص هم:(Sigfrieday J.Dchmidt) و(Haliday) و(Reiss) وغيرهم كثر ؛ إذ يعدون من المهتمين بحقل لسانيات النص ونظرية النص؛ هؤلاء الذين قاموا بإجراء تصنيفات عديدة ومتنوعة للنصوص بحسب وظائفها وفعاليتها، ومدى انعكاساتها على تعليم الترجمة في مستويات متفاوتة.

وتكتسب هذه النظرية قوتها من حيث إنّها تركز على مسألة التدريب بحيث "عندما يدرك متعلم الترجمة كيف يحلل النص فإنّه يصبح قادرا على إعادة بناء سياقه وربط السياق بالبنية" [١]، وحتى وإن كانت رايس تميز بين ثلاثة أنواع وهي: النصوص الإخبارية، والنصوص التعبيرية، والنصوص المؤثر الفعّال؛ فإنّ ويرليش (Werlich) يقسمها إلى خمسة وهي: الوصف، والسرد، والعرض، والجدل، والتوجيه، إلا أنّ حاتم(Hatim) دمج بين الوصف والسرد ضمن جنس واحد ألا وهو العرض [٢] وقام بتصنيف النصوص وفق الأنموذج الآتي :

١. نصوص عرضية(Expository)وتضم الأنواع التالية وهي : وصفية (Descriptive) وتستعمل أساسا لوصف الأغراض والعلاقات في المكان. وسردية(Narrative) والمستعمل أساسا لرواية الأحداث، ومفاهيمية (Conceptual) والمستعملة غالبا لتحليل وتركيب المفاهيم [٣] .
٢. النصوص الجدلية(Argumentative): وتستعمل لتقييم الحوادث وتهدف إلى الدفاع عن قضية أو اقتراح وجهة نظر، وبالتالي التأثير في السلوك المستقبلي

١- نفسه. ص:٣٨.
٢- ينظر المرجع نفسه. ص:٤٠-٤٢
٣- ينظر نفسه. ص:٤١.

. ويمكن تقسيمها إلى نوعين اثنين هما: جدل صريح ومثال على ذلك الرسالة إلى محرّر، وجدل ضمني مثال عليها المناقشة الفنية في الافتتاحية [١] .

٣.مجموعة النصوص التوجيهية(Instructionnal) وتهدف أساسا إلى تخطيط وتوجيه سلوك المستقبلي للناس المخاطبين، وتقسم عادة إلى قسمين هما: توجيه بخيارات كالدعاية والإعلان، وتوجيه بدون خيارات كالمعاهدات والعقود والوثائق القانونية، وهي الحقائق المعرفية التي استطاعت نظرية الأفعال الكلامية لصاحبها أوستن أن تتعمق في مثل هذه الأفعال وغيرها كثر[٢] .

وعليه فإنّ وظيفة الترجمة ينبغي لها أن تأخذ في الحسبان وظيفة النص المترجم، وبالتالي يكون هدف المترجم الأساسي هو تحقيق التكافؤ الوظيفي بالحفاظ على نوعية النص في النسخة المترجمة؛ هذا التكافؤ الذي ينبغي له أن يحقق نوعا من تجربة الإنتاج والتلقي بين المؤلف والمترجم والمتلقي بصفة عامة.

وعلى غرار كل هذا يبدو أنّ نظرية أنواع النصوص تفيد تعليمية الترجمة وتطبيقها لطبيعتها الانتقائية للنصوص، وفي إعداد وبرمجة نصوص وتمارين الترجمة وفق تخصصاتها المعرفية، مما يمكنها من أن تكون منها ملائما في تعليم وتطبيق الترجمة ويمكن أن تعتبر من وجهة نظر تعليمية أكثر النظريات فعالية.

وفي هذا الإطار من الاهتمام بعالم النصوص من الوجهة التحليلية يعترض المترجم في تجسيد الجانب الإجرائي إدراك تلك المقاصد الخفية التي هي في حقيقة أمرها تختلف تبعا لطبيعة النصوص؛ الأمر الذي يجعل من المترجم يدرك

١- ينظر نفسه. ص:٤٢.
٢- ينظر المرجع نفسه. ص:٤٣.

أنّ ثمة مقصدية لها من المؤهلات المعرفية والمنهجية ما يحقق تواصلا من داخل النص وخارجه.

الوظيفة المرجعية(Referential Function)والتواصل القصدي/الترجمي :

الجدير بالذكر أنّ من أهم المرتكزات القائمة في الوظيفة المرجعية (Referential Function)هو محتوى الرسالة الذاتي، بمعنى موضوع الرسالة القائم في النص الأصلي. ولعل أهم ميزة تمتاز بها الوظيفة المرجعية تلك" الإشارة إلى كينونات، وحالات، وأحداث وعلائق تشكل عالم تجاربنا الحقيقي وممثلة في القضايا الكامنة تحت النصوص"[١] .

إنّها بدون شك وظيفة الجانب اللغوي في علاقته بالوحدات القائمة في السياقات التركيبية. لكن ماذا عن علاقة اللغة متعددة الوظائف من الوجهة القصدية بالتواصل الترجمي؟

لعل الإشكال لا يتعلق في جانب الترجمة التواصلية القصدية، وإنّما في التواصل الترجمي / القصدي، بحكم أنّ المترجم وهو يتعامل مع وظيفة اللغة ؛ فإنّه يُطل إلى عالم القصد من عدة جوانب كامنة وراء اللفظ أثناء عملية النقل ؛ إذ إنّ اللفظ عندما يحدّد في تصور المترجم فإنّه يحاول بكل ما يملك أن يقبض على قصديته حتى يسهل عليه إيجاد المكافئ أو المعادل الترجمي .

لكن قد يعتري المترجم لحظة تعامله مع البنية النصية وفق الضابط التواصلي الترجمي / القصدي قرائن حالية تجعله يولّد من الإجراء القصدي عدة أبعاد دلالية تكون في الغالب مقتصرة على مبدأ التخريج القائم على حركية السياق المتغيّر والمتجدد .

١- الترجمة وعملياتها . المرجع السابق ص:٣٩٣.

ولكي نكون على بيّنة من أمرنا في شأن موقع القصدية من التواصل الترجمي لا ضير من أن نعطي بعضا من الأمثلة [١] لنرى كيف يتوسط مبدأ القصدية في العملية الترجمية التي يقوم بها تلقي فعل المترجم وهو يتعامل مع قصدية المؤلف وقصدية المتلقي بحكم أنّ له الحق في أن يدرك أبعاد الرسالة الذاتي أي موضوع الرسالة .

المثال الأول : ها هي الحافلة رقم : ١٤. أ . [٢]

Here is the bus 14 . A .

لا مندوحة أنّ المترجم عندما يترجم العبارة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية؛ فإنّه يحاول أن يشير إلى وجود ما يمكن تسميته بـ : كينونة الشيء القائمة بين الباث والمتلقي؛ إذ حكم الصيغة توحي أو تومئ إلى أنّ ثمة تحقيق كينونة وجود الحافلة الموسومة بـ: ١٤.أ.

لكن عندما يعود المترجم إلى دلالة التركيب من حيث ما يخفيه من دلالات باطنية محاولا تحقيق تواصل ترجمي وفق مبدأ تداولي؛ فإنّه يقوم أساسا على تشفير القوة أو الإرادة الكائنة في الفعل الكلامي التركيبي الذي ستقوم من أجله الصيغة وما تحتويه من معان وأبعاد. وعليه فأساس التقديرات المصحوبة عن

١- من باب الأمانة العلمية والإنصاف العلمي الموضوعي أنّ غالبية الأمثلة التي سنستشهد به في هذا المقام وفي المقامات الآتية هي مأخوذو من كتاب: الترجمة وعملياتها؛ هذا الكتاب الذي لربّما اطلعنا عليه مرارا وتكرارا فوجدنا معظم الأمثلة تخدم سياقنا المعرفي فأخذنا المثال وحاولنا أن تكون التعقيبات من جهدنا وتقديراتنا الفكرية والمنهجية وهذا حتى لا نتصف بصفة التبعية في البحث العلمي؛ بكم أنّ طبيعة الموضوع أو الإشكالية لا تقتضي ذلك. إذاً الأمثلة موجودة في الكتاب وإذا سها القلم وأخذ كلمة أو عبارة أو تركيبة فلعل السبب هو تلك القراءة المتكررة والمتعددة لهذا الكتاب ليس إلا .

٢- ينظر الترجمة وعملياتها. ص :

طريق فعل التلقي تقتضي بعدا تأويليا لا يخرج عن بعض الصور لعل من أهمها ما يلي:

١. لعل القوة التأثيرية بين صاحب القول وما حققته من تواصل يظهر جليا في دلالة التركيب وهو كينونة الحافلة المحددة والمعلومة عن طريق الرقم والهيأة. لكن ماذا عن قصدية المتكلم فيما يخص القوة التحقيقية التي أهّلته سلفا لأن يتلفظ مثل هذا التلفظ؟
٢. قد يظن المترجم أنّ مثل هذه القوة التحقيقية في شأن نعت الحافلة بالرقم ينم على حذر الناس من أن يستعدوا بحق للصعود فيها وذلك مجرد توقفها. ولعل التواصل الترجمي القصدي في هذا الطرح يجعل المترجم يولي اهتمامه إلى وظيفة تداولية قائمة على مبدأ الإرادة الكائنة في ذاتية الركاب حتى يؤهلوا أنفسهم للصعود.

لكن قد يعتري المترجم إحساسا آخر وهو أنّ التركيبة توحي بأنّ الركّاب يعلمون يقينيا بأنّ رؤيتهم للحافلة هو أمر منطقي ومن ثم استوجب من مقام الركاب أن يتضامنوا فيما بينهم عن طريق تحقيق وحدة إرادية تؤهّلهم لأن يحققوا تواصلا إراديا يفي بالغرض المقصود.

وهكذا دواليك يكون المترجم في تعامله مع التراكيب المتصفة بصفة القصد المتغير والمتجدد أن يولد الكثير من الأبعاد والمعاني، وعليه يمكن للمترجم أن يترجم العبارة بكل بساطة بـ :

Here is the bus 14.A.

وهي عبارة تفي بكل أبعاد التواصل الترجمي القائم على مبدأ القصدية في علاقتها بحركية السياق .

المثال الثاني :

ينقل لنا إيكو عبارة الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريكن في ندوة صحفية قائلا : " في بضع دقائق سأصدر الأمر بقنبلة روسيا " [١]

لفهم وإدراك بُعد الإجراء القصدي في علاقته بالتواصل الترجمي القائم بين نظامين لغويين مختلفين؛ لا ضير من أن نتوقف عند مثال قد أشار إليه إمبرتو إيكو (U. Eco-) في كتابه الموسوم بـ : (Notes sur la sémiotique de la réception Actes Sémiotiques) وهو يبيّن بأنّ العبارة التي يتلفظ بها الإنسان تحمل عدة مقاصد تختلف حسب الأحوال والمقامات، وعليه استوجب من شخصية المترجم القاضي بتجسيد تواصل ترجمي في ظل مبدأ القصدية أن يتوقف عند كل الاحتمالات القائمة في البنية اللغوية التي يتعامل معها؛ فإذا قبض على المعنى أو القصد جاز له منهجيا أن يحقق عملية نقلية ترجمية بين النص المصدر والنص الهدف .

في حالة التعامل مع مثل هذه العبارة- المثال السالف الذكر- على نية ترجمتها وفق مبدأ التواصل الترجمي بغية إدراك مقصدية ما كان يريد ريكن الوصول إليه، يقتضي من المترجم أن يتعامل مع البنية(النص)على نية أنّه يفاوضه-إن صحّ لنا القول-مفاوضة قصدية وذلك بطرح مجموعة من الاحتمالات أو الأبعاد الدلالية المختبئة من وراء البنية ؛ فالمترجم بادئ ذي بدء يعلم علما يقينيا بأنّ هذا النص المشار إليه من قبل إيكو يدل حرفيا على مدلوله الأول والسطحي غير المبرّر، وهو شنّ هجوم نووي على الاتحاد السوفياتي.

1-U.Eco(1987) ; Notes sur la sémiotique de la réception Actes Sémiotiques, Documents, IX, 81, pp :5-27.

إنّها القصدية الواضحة التي لا غبار عليها، لكن عندما غدا غالبية الصحافيين يوجهون إلى ريكن مدى بُعد خلفية المعنى من وراء هذا الحكم، أجاب قائلا : إنّه يمزح ؛ الأمر الذي جعل المترجم يطرح عدة احتمالات تأويلية قصدية في ظل تحقيق تواصل ترجمي وهي على النحو التالي:

١. لربّما هي قصة إنسان هدفه الأسمى أنّه يريد أن يعيش ساعة المزاح بطريقته الخاصّة.
٢. لربّما هي قصة إنسان غدا يمزح لكنه لم يعلم بحق سياسة المزح الذي يوظّف فيه مثل هذه الساعة؟
٣. قد تكون قصة إنسان كان يتلفظ بألفاظ المزاح لكن الألفاظ تحمل من الوجهة الباطنية- المسكوت عنه- تهديدا غير مصرّح به.
٤. إنّها قصة تبيّن مدى البعد الباطني من المزاح الذي حتى ولو كان عاديا عند كثير من الناس لكنه يمكن أن يخفي دلالات جدّ هامة أو خطيرة حسب قائل القول [١] .

من هذا المنطلق يدرك المترجم أهمية الحرفية أو اللاحرفية في التعامل مع النصوص، أدبية كانت أم لا . هذه القضية وهي الدلالة السطحية أو المعنى الحرفي تثير لدى المرجعية المعرفية للمترجم عدة تساؤلات جمّة حول القصد وتعدد الدلالات وحرية التأويل و الأنساق و التموقعات داخل الخطاب وخارجه . إنّ مسار المترجم مسار استكشافي وتأويلي في آن واحد، وهو ما يؤهّله أن يحقق تواصلا ترجميا في ضوء التفاوض القصدي الذي يقيمه بين النظامين اللغويين المختلفين.

١- ينظر المصطفى شادلي: إشكالية التأويل والترجمة في ضوء سيميائيات التلقي. مجلة الفكر العربي المعاصر. مركز الإنماء القومي. بيروت. ١٩٩٨م. ص:٤٦-٤٧.

المثال الثالث : ناولني المكونات [١]

Pass me thz oregano

التعامل مع هذه التركيبة على نية تحقيق التواصل الترجمي القصدي، يجعل من المترجم أنّه لو كان يرغب في السؤال عن الظروف التي صدر فيها هذا الفعل القولي أو الإنجاز القولي على حد تعبير أهل التداولية؛ فستكون الأجوبة- على حد اعتقاده – مختلفة للغاية، ويعتمد ذلك إن كان السؤال هو حول الموقف أو السياق بكل أحواله .

غير أنّه لكي يقدّم المترجم جوابا شافيا وكافيا يليق بمقام مقصـــدية الفعـــل الإنجازي لسياق القول ؛ عليه أن يحدد- وفق الضـــابط التـــداولي- المشـــاركين بعينهم وسلوكهم والوقت ومكان التفاعل، بله أي شيء آخر يخطر بالبال؛ الأمـــر الذي يؤهّل من هذا التعامل أن يعطي أو يزوّد المترجم قائمـــة بمكونـــات الشـــكل الإجمالي الذي لن يقوده إلى تشخيص الموقف ككل متكامل بدون بُعد ثقافي يعمـــه ويحويه ، ومن ثم يتحقق شرط قصدية الحدث الكلامي القائم على مبدأ التواصـــل الترجمي بين النص المصدر والنص الهدف.

ما يمكن أن نستشفه من خلال الأمثلة المشـــار إليهـــا ســـالفا أنّ الضـــابط القصدي القائم على نية التواصل ليس من جانبه الخارجي فحسب ، وإنّمـــا مـــن جانبه الداخلي أيضا ، له القدرة في أن تكون له الشرعية المعرفية في التمييز بين كفائتين يتحلى بها المترجم وهو يقتحم عالم النصوص على نية النقل وهما:

أولا : الكفاءة اللغوية : وقد تدعى في بعض السياقات بالمعرفة اللغوية ومفادهـــا أنّها قائمة على إدراك المترجم على مجموعة من أنظمة القواعد التي يقـــوم

١- ينظر الترجمة وعملياتها. نفس الصفحة.

عليها النظام اللغوي والتي عند استخدامها من قبل المتكلم أو صانعي الخطاب يساعد المترجم على معرفة مقصدية المتكلم، ناهيك عما تحويه هذه الكفاية اللغوية على معرفة كل ما يتعلق بعالم السياق اللغوي بقرائنه اللفظية والمعنوية التي لا مناص للمترجم من التعامل معها بحكم أنّها تساهم من قريب أو من بعيد في تحديد الإطار العام للنص.

إنّها الكفاءة التي تتوسط بين اللغة من جهة، ومستعمليها من جهة أخرى، وهي لعمري وسطية ليس بالأمر الهين التحلي بها لدى المترجمين إلا من رحم ربّك؛ على أساس أنّ المالك للكفاءة اللغوية الكائنة بين النص المصدر والنص الهدف من قبل الفعل الترجمي تؤّهل المترجم بحق أن يجسّد تواصلا ترجميا قصديا بين النظامين اللغويين. وهذه الملكة القائمة على مبدأ الكفاية اللغوية الماهرة تؤهّل المترجم من التحلي بكفاءة أخرى هي ممتدة للأولى وهي الكفاءة الاجتماعية التي تتماشى إلى حدّ بعيد مع طبيعة النظام اللغوي شكلا ومضمونا.

ثانيا : الكفاءة الاجتماعية، وهي معرفة مدى تلك التقاليد والأعراف وغيرهما مما يؤهّل المترجم من تحقيق تواصل ترجمي قصدي فعّال بين أعضاء المجموعة القائمة على الإنجاز الفعلي للحدث الكلامي حتى يصبح جزءا لا يتجزأ من معرفة المتكلم اللاواعية .

هو تطواف وجيز حول منزلة فعل التلقي القائم في التصور العربي وهو يتعامل مع الزاد المعرفي الغربي عن طريق النظريات الترجمية التي لها صدى ليس في السياق الغربي الذي وُجددت فيه، بل لها ما يجعلها تقترب إلى حد كبير مع بعض السياقات المعرفية والإجرائية التي أشار إليها التصور العربي في كثير من المقامات .

البيبليوغرافيا البحث

باللغة العربية :

ابن منظور : لسان العرب . مصدر أول ، دار صادر، بيروت، د.ت.

بول ريكور : مهمة الهيرمنيوطيقا. ترجمة خالدة حامد ، مجلة المعرفة، دمشـــق، العدد ٤٥٢.

جون لادرِيير: التأويلية والإبستومولوجيا في بول ريكور؛ تحولات العقل التأويلي. منشورات يسرف. باريس. ١٩٩١م.

خاليد سليكي: أنماط من القراءات في التراث. مجلة جذور. العدد الأول. ١٩٩٩م.

روجرت بيل : الترجمة وعملياتها- النظرية والتطبيق- ترجمة: محيـــي الـــدين حميدي،ط١، مكتبة العبيكان،٢٠٠١م، الرياض.

عمر فرّوخ: الحضارة الإنسانية وقسط العربي فيها. دار لبنان للطباعة والنشـــر. بيروت.ط٢، ١٩٨٣م.

فيليب هونمان- مدخل إلى الفينومينولوجيا-. منشورات آرماند كولين، بـــاريس، ١٩٩٧.

محمد شاهين: نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلـــى الإنجليزية والعكس. مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع. عمان الأردن. ١٩٩٨م.

مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب.ط١، دار الطليعة بيروت. لبنان. ٢٠٠٥م.

المصطفى شادلي: إشكالية التأويل والترجمة في ضوء سيميائيات التلقي. مجلـــة الفكر العربي المعاصر. مركز الإنماء القومي. بيروت. ١٩٩٨م.

مطاع صفدي: إستراتيجية التسمية. ط١، دار الإنماء العربـــي بيـــروت، لبنـــان، ١٩٨٦م.

مطاع صفدي: إستراتيجية التسمية. مركز الإنماء القومي، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

منصف عبد الحق: الكتابة والتجربة الصوفي' نموذج محي الدين بن عربي. منشورات عكاظ، الرباط، ط١، ١٩٨٨.

ناظم عودة خضر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي. ط١، دار الشروق، عمان الأردن. ١٩٩٨م.

هانس جورج غادامير : اللغة كوسيط للتجربة التأويلية. ترجمة أمال أبي سليمان، مجلة العرب والفكر العالمي. العدد الثالث، ١٩٨٨، مركز الإنماء القومي، بيروت.

هانس غيورغ غادامير: فن التأويل. ترجمة محمد شوقي الزين. مجلة كتابات معاصرة، العدد ٣٧، ١٩٩٩.

يشار ساغائي : غادامير : الحقيقة حوار وتفاهم، ترجمة محمد شوقي الزين، كتابات معاصرة، بيروت. العدد ٤٥، ٢٠٠٠.

باللغة الأجنبية:

Dellthey : le Monde de l'esprit, I , Paris

Jean Grodin : la conscience au travail de l'histoire et le problème de la vérité en herméneutique, Archives de philosophie, n=44, 1981

Paul Ricoeur : Du Texte à l'action. Essais d(herméneutique. Edition du Seuil, 1986

Schleir Macher : Herméneutique, Laor et Fides, 1987,

U.Eco(1987) ; Notes sur la sémiotique de la réception Actes Sémiotiques, Documents, IX, 81,

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــوع	الصفحة
١	معهد الترجمة	٢٨٢٩
٢	نظرية الترجمة القواعدية والضابط التواصلي	٢٨٣٠
٣	النظرية الثقافية والضابط التواصلي	٢٨٣٢
٤	مبدأ التكافؤ الديناميكي (Dynamic equivalance method)	٢٨٣٣
٥	اللغة مظهر الحضارات والثقافات	٢٨٣٤
٦	زرقاء اليمامة وشكسبير	٢٨٣٥
٧	بخيل موليير وبخيل الجاحظ	٢٨٣٦
٨	النظرية التفسيرية والضابط التواصلي	٢٨٣٨
٩	مبدأ تحليل النصوص (The Text Analysis Method)	٢٨٣٨
١٠	المبدأ التأويلي (The Hermeneutic Method)	٢٨٤٠
١١	نظرية أنواع النصوص والضابط التواصلي	٢٨٤٩
١٢	الوظيفة المرجعية (Referential Function) والتواصل القصدي/الترجمي	٢٨٥١
١٣	المثال الأول	٢٨٥٢
١٤	المثال الثاني	٢٨٥٤
١٥	المثال الثالث	٢٨٥٦
١٦	المثال الثالث : ناولني المكونات	٢٨٥٦
١٧	البيبليوغرافيا البحث	٢٨٥٨
١٨	فهرس الموضوعات	٢٨٦٠

تم بحمد الله